Speech Acts in the Poem of Sibt Ibn al-Ta'awidhi: A Pragmatic Study
الفعل الكلامي في رائية سبط ابن التعاويذي: دراسة تداولية

Received 2025-12-20
Accepted 2026-01-19
Published 2026-04-03

Salah Mohsin Hazim
Department of Arabic Language, College of Education for Humanities, University of Al-Hamdaniya, Iraq
salah@uohamdaniya.edu.iq

To cite this article: Hazim, Salah Mohsin. (2026). Speech Acts in the Poem of Sibt Ibn al-Ta'awidhi: A Pragmatic Study. Ijaz Arabi: Journal of Arabic Learning, 9 (2), 580-798, DOI: https://doi.org/10.18860 /ijazarabi.V9i2.39433

Abstract
This research aims to uncover the pragmatic dimensions of Sibt Ibn al-Ta'awidhi's ode by analyzing its speech acts as linguistic components that perform performative functions extending beyond verbal structure to the intended effect on the recipient. The study is based on the pragmatic approach as a theoretical framework, drawing on Austin and Searle's speech act theory and its classifications—representative,directive, expressive, obligatory, and declarative—to reveal how the poet employs poetic language to perform acts of influence, persuasion, and rapprochement with authority. It also utilizes modern concepts linking language and social context, such as those of Grice and Bourdieu, highlighting the relationship between poetic utterance and the demands of the situation and symbolic hegemony. The research concludes that Sibt Ibn al-Ta'awidhi's ode serves as a significant model for the intersection of poetry and pragmatics, as its speech acts vary according to the poet's intentions and the functions of the discourse. Representative acts establish praise as a discourse of truth and loyalty, while directive acts work to win over the recipient and convince him of the caliph's legitimacy. Expressive acts reveal genuine emotion and heartfelt belonging, while obligatory and declarative acts solidify the image of the poet committed to serving the sultan.
Keywords: Pragmatics, Speech Act, Sibt Ibn al-Ta'awidhi, The Poem

المقــدمة

تُعَدّ التداولية إحدى المسارات المركزية في الدرس اللّساني الحديث، إذ تجاوزت حدود النّظر إلى اللّغة باعتبارها مجرّد نسق شكلي أو بنية دلاليّة ثابتة، لتكشف عن طبيعتها الجوهرية بوصفها نشاطًا تواصليًّا متعيّنًا بالسّياق الاجتماعي والثّقافي. وفي قلب هذا الحقل النّظري تتبوّأ نظريّة الأفعال الكلاميّة موقعًا محوريًّا، لما تقدّمه من أدوات منهجيّة توضّح الكيفيّة التي يتحوّل فيها القول إلى فعل إنجازي ذي أثر مباشر في المتلقّي، وقادر على إعادة تشكيل الواقع الاجتماعي والسّياسي. وإذا كانت هذه النّظرية قد وُظّفت بدايةً في تحليل الخطابات اليوميّة والمؤسّساتية، فإن امتدادها إلى النّص الشعري يفتح أفقًا جديدًا للبحث، حيث يتداخل البعد الجمالي مع الفعل التّداولي، وتغدو اللّغة الشّعرية مجالًا لإنتاج السّلطة وإعادة التّفاوض حول الشّرعية والمعنى.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يسلّط الضّوء على شعر المديح في العصر العبّاسي لا بوصفه مجرّد بناء لغوي زخرفي أو تعبيرًا وجدانيًا معزولًا، بل باعتباره **خطابًا سيّاسيًا ورمزيًّا** أدّى دورًا فاعلًا في تثبيت شرعيّة الخلافة العبّاسية وتعزيز سلطتها الرّمزية. وتمثّل رائيته في مدح الخليفة الناصر لدين الله (**سنة ٥٧٦هـ**) نموذجًا غنيًا لهذا التّداخل بين اللّغة والسّياسة، لما تحمله من كثافة تداوليّة وأبعاد رمزيّة متشابكة تستدعي مقاربة تحليليّة دقيقة تُبرز كيف تُبنى الشّرعية عبر القول الشّعري، وكيف تتحوّل سلطة اللّغة إلى سلطة سياسيّة واجتماعيّة.

منهجية البحث

ينبني هذا البحث على المنهج التداولي بوصفه الإطار النظري الرئيس، إذ يوفّر الأدوات الكفيلة بالكشف عن كيفية تحوّل القول الشعري إلى فعل إنجازي مؤثّر في المتلقي وفاعل في بناء الشرعية. ، وتهدف هذه الدّراسة إلى تصنيف الأفعال الكلاميّة الواردة في رائية سبط ابن التعاويذي وتحليل أنماطها المختلفة، بما يسمح برسم خريطة دقيقة لآليات القول الشعري، و إبراز الوظائف التداولية التي تضطلع بها هذه الأفعال في بناء الخطاب المدحي، وكيف تتحوّل من مكوّن لغوي إلى أداة تأثيرية ذات بعد سياسي ورمزي.

هناك عدد قليل من الدراسات السابقة التي ركزت على الأفعال الكلام في الشعر العباسي كما أن الدراسات حول الفعل الكلامي محدودة لذلك يسعى هذا البحث بتركيزه على نصّ محدّد هو رائية ابن سبط التعاويذي في مدح الخليفة الناصر لدين الله (**سنة ٥٧٦هـ**)، وبمقاربته من منظور تداولي جامعًا بين التحليل اللساني الدقيق واستحضار الشروط التداولية التاريخية، فقد تمّ اقتصار التحليل بالتركيز على نماذج مختارة من الرائية ابن التعاويذي دون عرضٍ كامل لكل الأبيات، مع الاكتفاء بتوظيف ما يخدم الأغراض التداوليّة لكل مطلب .

نتائج البحث ومناقشتها

التداولية ونظرية الأفعال الكلامية

عرَّف تشارلز موريس التداوليّة بأنّها: "*الدّراسةُ التي تبحثُ في العلاقةِ بين العلامات ومُستخدِميها*" (Morris, 1938, p. 6)**.** وهو تعريفٌ يُركّز على البُعد التفاعليّ للغة، حيث لا تُفهم العلامة إلا من خلال علاقتها بفاعلٍ متكلّمٍ وسامع. وفي سياقٍ أكثر تحديدًا، يرى **ستيفن ليفينسون** أنّ التداوليّة: "دراسةُ العلاقاتِ بين اللغة والسياق، وهي علاقاتٌ حاسمةٌ لفهم المعنى" (Levinson, 1983, p. 21) ويُستفاد من ذلك أنّ التّداوليّة لا تقتصر على تفسير الجمل، بل تسعى إلى فهم ما وراءها من مقاصد، ونيّات. وقد طوّر الدّارسون العرب هذا المدخل، ومنهم **كريم شحادة النهّار** الذي

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

يؤكّد على أنّ: "التداوليّةَ تدرس اللغةَ لا من حيث ما تقوله فقط، بل من حيث ما تفعله، أي بوصفها أداةً لإنجازِ شيءٍ ما في العالم" (النهّار، 2009، ص. 17).

وفي سياق النظرية الكلامية قدّم جون سيرل تصنيفه الشهير لأنماط الأفعال الكلامية في كتابه "Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language" (1969)، حيث ميّز بين خمسة أنماط إنجازية رئيسة، يؤدّي كلٌّ منها وظيفة تداولية تختلف باختلاف مقصد المتكلم وسياق القول:

١. الأفعال التمثيلية (Representatives): والتي تُلزِم المتكلّم بصدق القضية التي يُصرّح بها (كالإخبار والتقرير) عبر تمثيل الواقع أو التعبير عن موقف معرفي (Searle, 1969, p. 67).
٢. الأفعال التوجيهية (Directives): تستهدف توجيه سلوك المخاطَب عبر صيغ كالأوامر والنواهي، وقد يؤدي الدعاء وظيفة اجتماعية تداولية تتجاوز البعد التعبّدي (Jawad, 2019, p. 599).
٣. الأفعال التعبيرية (Expressives): تجسد البعد الوجداني وتهدف إلى الإفصاح عن حالة المتكلّم النفسية (كالشكر والاعتذار)، وتُقاس بصدق تمثيلها شرط الإخلاص (Searle, 1969, p. 66).
٤. الأفعال الالتزامية (Commissives): تُعدّ تعهّدًا ذاتيًا يقيّد المتكلّم بسلوك مستقبلي ويحمّله مسؤولية أدائه (كالوعد والقسم)، مما يمنحها بُعداً إنجازياً وأخلاقيا (Alston, 2000, p. 86).
٥. الأفعال الإعلانية (Declaratives): تخلق واقعًا لغويًا أو قانونيًا فوريًا بمجرد النطق بها وتتطلب سلطة مخولة للمتكلّم، حيث يتحوّل القول إلى عملية إنشائية (Austin, 1962, p. 14).

الأفعال الكلاميّة في رائيّة سبط ابن التّعاويذي

١. الأفعال التّمثيلية في الرّائيّة

تُجسّد رائية ابن التّعاويذي منظومةً تداوليّة دقيقة تستند إلى الأفعال التّمثيلية بوصفها أفعالًا معرفيّة تؤسّس لواقع شعري متخيَّل، يضاهي الواقع الفعلي، بل ويسعى إلى صناعته وتوجيهه. فالأفعال التّمثيلية في الخطاب الشّعري تتّخذ بعدًا استعاريّا وتخيّليًّا لا يلغي صدقيّتها التّداوليّة، بل يمنحها كثافة رمزيّة. فنُلاحظ أنّ الشّاعر في الرّائيّة لا يكتفي في قصيدته التي يمدح فيها الخليفة النّاصر لدين الله عام 576هـ بوصف الخليفة النّاصر، بل يقرّ صفاته ويُثبتها كحقيقة لغوية يُراد لها أن تتحوّل إلى واقع سياسي واجتماعي. ففي قوله:

"مَدحُكَ لا يَستَطيعُهُ البَشَرُ *** أَنّى وَقَد أُنزِلَت بِهِ السُوَرُ"

يتجلّى في هذا المقطع فعل تمثيلي من نوع الإخبار (Assertive)، يصدر عن قناعة داخلية لدى المتكلّم تُقرّ بعجز البشر عن الإحاطة بمقام الممدوح، ويُدَعّم هذا الموقف بالدّليل الشّرعي (نزول السّور). فالتدرّج من نفي القدرة إلى الاستشهاد بالنصّ القرآني يُنتج فعلًا لغويًا ذا قوّة إقرارية عاليّة، ويُؤسّس لمصداقيّة الخطاب، ذلك أن المتكلّم –في السّياق التّداولي– لا يكتفي بوصف الخليفة، بل يُثبّت

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

منزلته بوصفها حقيقة لغويّة مُؤطَّرة بشرعية دينيّة. وهو ما ينسجم مع ما أشار إليه جميل حمداوي (2019، ص. 41) بقوله: "الوظائف الإنجازية في الشعر لا تظهر على السّطح بوصفها تقارير بريئة، بل تنطوي على مواقف وجدانيّة تعبّر عن صورة الذّات ورؤيتها للوجود." ويواصل الشّاعر بناءه التّداولي في قوله:

"سُستَ الرَعايا بِسيرَةٍ لَم يَسِرْ *** في الناسِ إِلّا بِمِثلِها عُمَرُ"

حيث يتوسّل الشّاعر هنا الفعل التّمثيلي الوصفي، وهو إخبار متضمّن لحكم قيمي، يقوم على تشبيه سيرة الممدوح بسيرة عمر بن الخطّاب المعروف بعدله، وهذا التّماثل التّداولي يُفضي إلى مشروعيّة رمزيّة لحكم النّاصر، ويعزّز وظيفة القول بوصفه أداة إقناع. أما في قوله:

"أَنتَ الإِمامُ المَهدِيُّ لَيسَ لَنا *** إِمامُ حَقٍّ سِواكَ يُنتَظَرُ"

فنحن أمام فعل ادّعائي تمثيلي (claim)، يُصوّر النّاصر لا كخليفة واقعي فحسب، بل كـ"إمام مهدوي"، يُلغى بوجوده انتظار الآخر، وهو ما يُفضي إلى غاية تداوليّة أيديولوجيّة تقطع الطّريق أمام أيّ تأويل سيّاسي أو عقدي خارج السّلطة القائمة. ويقوم هذا النّوع من الفعل على ما يُعرف بـ"شرط الإخلاص" في نظريّة أفعال الكلام. وتُعزَّز هذه الوظائف بوسائل بلاغية لا تُفقد القول صدقيّته، بل تدعمه، وهو ما أكّده **براون** وليفنسون (1987) حين أوضحا أنّ المتكلّمين - في مقام تعزيز السّلطة الرّمزيّة - يميلون إلى انتقاء استراتيجيّات لغويّة تعظّم من "وجه" المخاطَب (face-enhancing acts)، وذلك عبر صيغ مدح مبالغ فيها، لكنّها مدروسة بدقّة، من أجل تثبيت بنية اجتماعيّة معينة (Brown & Levinson, 1987, p. 62). يتجلى هذا المعطى أيضًا في قوله:

"مَعدِلَةً عَمَّتِ البِلادَ فَما *** لِلجَورِ فيها عَينٌ وَلا أَثَرُ"

فالفعل هنا تقريري تأكيدي، يُفيد إقرارًا عامًّا بانتفاء الظّلم، وهو نفي تامّ يقوم بوظيفة إثباتيّة عبر صيغة الإخبار التّام، ويُحيل على وظيفة تداوليّة تبريريّة تتوسّل الشّرعية عبر "فعل القول". في المقابل نجد في قوله:

"فَاِحكُم عَلى الدَهرِ قادِراً فَبِما *** تَشاءُ يَجري القَضاءُ وَالقَدَرُ"

ترميزًا ميتافيزيقيًا للقوة السّلطوية، حيث يمارس الشّاعر في هذا البيت فعلاً تمثيليًا يُحمّل فيه الممدوح سلطة مطلقة تُجاري مشيئة القدر. وهنا يتداخل الفعل التّمثيلي مع ما يُعرف بـ"الإسناد الإنشائي للقدرة"، وهو ما يفسّر كيف تنبني الصّورة التداوليّة للقول على المبالغة المُقنّنة، بوصفها وسيلة للنّفاذ إلى الوعي الجماعي. وبالتّالي تُمارس الأفعال التّمثيلية في رائيّة ابن سبط وظيفة معرفيّة وإقناعيّة مزدوجة؛ فهي تُنْشِئ المعنى وتُثبته، وتتحوّل إلى وسيلة تداوليّة لإعادة بناء الهيبة السّلطوية. وتتقاطع هذه الوظائف مع نظريّة المجاملة عند Brown & Levinson (1987) التي ترى أنّ المبالغة في

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

المدح، حين تُمارس ضمن وعي تداولي دقيق، تُصبح أداة لحماية صورة المخاطب وتعزيز سلطته الرّمزية.

٢. الأفعال التوجيهية

تنتقل رائية ابن التّعاويذي من بُعدها التّمثيلي إلى بعد تداولي أكثر فاعليّة، حين تنخرط في توجيه المخاطَب أو المتلقّي عبر صيغ إنجازية تُجسّد مقاصد الشّاعر التّداوليّة. فالأفعال التّوجيهيّة تمثّل في هذا السّياق تجلّيًا لغويًّا للقوّة الإنجازيّة التي تمارس سلطة بلاغيّة على المستمع، وهي لا تتوقّف عند الإيعاز أو الإرشاد، بل تتّخذ في الخطاب الشّعري شكل توسّلات، أو أوامر، أو تمنّيات، تتّكئ على السّياق الاجتماعي والسّياسي المحيط. ولعلّ أبرز تجليات هذه الأفعال تتضح في قوله:

"إِلَيكَ غَرّاءَ مِن ثَنائِكَ لا *** يَغُضُّ مِنها عِيٌّ وَلا حَصَرُ"

تُفصح صيغة المدح المباشر في هذا البيت عن فعل توجيهي مضمر، تتجاوز دلالته الإخبارية إلى أداء وظيفة إلزامية تنطوي على تعهّد أدبي وأخلاقي يُوجّه المتلقي إلى ضرورة الاعتراف بجميل الخليفة وسمو مكانته. فظاهر القول إخباري، لكنه في عمقه إنجازي؛ إذ يؤسس لالتزام بالتعظيم والثناء، ويحثّ المتلقي على تبني فكرة وجوب المدح والشكر للخليفة. ووفقًا لما يقرّره الصراف (2010، ص42)، فإن الفعل الإنجازي هو "الفعل الذي تبرز من خلاله معالم الاستعمال"، بما يتجاوز الإخبار إلى التأثير الفعلي في السلوك والاعتقاد. وهنا تتجلى العلاقة بين اللفظي والإنجازي: ففعل الثناء يحمل في باطنه حمولة توجيهية تعبّر عن عرف اجتماعي قيمي يُملي الاعتراف بالفضل مقابل الإحسان السياسي. ومن مظاهر الأمر غير المباشر كذلك، قوله:

"فَابِقَ لَنا كَعبَةً تَحُجُّ إِلى *** مَغمورَةٍ بِنَدى يَدَيكَ الغامِرِ"

يتوسّل الشاعر في هذا البيت بفعل الأمر "ابقَ" ليُقدّم رسالة مضمّنة إلى الخليفة، ظاهرها الدعاء بالبقاء وطول العمر، وباطنها الأمر الرمزي بالاستمرار في خدمة الأمة ورعاية شؤونها. ويتميّز هذا النّوع من الأفعال التوجيهية، بوصفه أفعالًا لغوية تعمل على إحداث تأثير سلوكي أو عاطفي في المخاطَب، بكونه يستبطن القوّة الإنجازية ضمن بناء تعبيري رقيق يتماشى مع مقتضيات المقام. وهذا ما يشير إليه علي الصراف (2010، ص42) بقوله إن القوة الإنجازية لا تستلزم دائمًا صورًا أمريّة صريحة، بل قد تتحقّق بصيغٍ دعائية أو استعطافية ترتكز على العلاقة بين المتكلّم والسياق. في موضع آخر من القصيدة، يوجّه ابن سبط رجاءً ضمنيًا في قوله:

"فَكُلُّ ذَنبٍ إِذا بَقيتَ لَنا *** في جَذَلٍ لِلزَمانِ مُغتَفَرُ"

فالشرط التداولي هنا (إذا بقيتَ لنا) ليس خبرًا محايدًا، بل رجاء مضمَّن بأن يديم الممدوح بقاءه ورعايته، وهو ما ينعكس في الجواب (مغتفر) الذي يمنح الغفران العام. إنّ الشاعر يشيّد صورة تواصلية تتجاوز الوصف إلى التأثير، إذ يجعل من وجود الخليفة شرطًا لتحقيق الطمأنينة النفسية

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

والصفح الرمزي. ووفقًا لطرح Leech (1983, p. 80) حول مبدأ التهذيب، فإن الشاعر يجنح إلى توجيه رجائه بصيغة غير مباشرة، متخفّفًا من الأمر الصريح، فيُبقي للمخاطَب مجال القبول الطوعي، وهو ما يعزّز فعالية التأثير في المتلقي. هكذا يتحوّل البيت إلى أداة توجيهية مغلّفة بالتمنّي، تعكس وعي الشاعر بآليات المقام وضرورة المحافظة على الأدبيات السلطانية في مدح الخليفة. وإلى جانب الدّعاء المباشر، نرصد أيضًا أسلوب التحذير التّضميني حين يقول:

"وَعِش لِدُنيا أَعدى النَضارَةَ وَالـ *** حُسنَ إِلَيها زَمانُكَ النَضِرُ"

تتحقّق هنا وظيفة الرجاء عبر فعل كلامي على شكل أمر ظاهري ("عِش") لكنه في السياق التداولي لا يقرأ كإكراه؛ بل كدعاء خفيّ يبتغي دوام النماء والنعمة بوجود الممدوح. يجعل الشاعر من بقاء الخليفة سببًا لاستمرار الازدهار الزمني والمنافع الاجتماعية، فيحوّلُ الطلب الأدبي إلى وعدٍ ضمنيّ: دوام الملك = دوام الخير والمغفرة والسكينة. ومن زاوية مبدأ التهذيب، يَستخدِمُ البيت صيغة تخفيفٍ لتحويل الأمر إلى التماس رفيع لا يُخدش آداب المقام، ممّا يعزّز فعالية التأثير دون تهديدٍ مباشر للمخاطَب (Leech, 1983, p. 80). هكذا يصبح "عِش" فعلًا توجيهيًا-دعائيًا مضمّرًا ينسجم مع منطق الخطاب المدحي السياسي والأخلاقي في الرائية. وبالتّالي فإنّ الأفعال التّوجيهية في هذه القصيدة لا تكتفي بدورها اللّغوي، بل تتسلّل في جسد النّص بوصفها أدوات تواصل رمزيّة ذات وظيفة إقناعيّة، تُعيد تشكيل العلاقة بين الحاكم والمحكوم، والشّاعر والممدوح، ضمن شبكة دلالية يغلب عليها التّهذيب، والانضباط السّياسي، والانخراط في بناء مشترك لخطاب الهيمنة الرّمزية.

٣. الأفعال التعبيرية

في سياق القصيدة التي نظمها سبط ابن التّعاويذي في مدح الخليفة النّاصر وتهنئته بختان ولديه سنة 578هـ، تتجلّى "الأفعال التّعبيرية" بوصفها تجلّيات لغويّة لانفعالات المتكلّم ومواقفه الشّعورية تّجاه الحدث. ذلك أن المناسبة في ذاتها لا تقتصر على بعدها الاجتماعي أو الدّيني، بل تمثّل عند الشّاعر مناسبة رمزيّة يَنْفُذ من خلالها إلى التّعبير عن منظومة من المواقف النّفسية التي تتراوح بين الفرح والتّهنئة والإعجاب والشكر، بل وحتى التّوجع والانكسار. وهذا ما يؤكّده تمام حسان حين يرى أن "الفعل في الشّعر لا يحمل دلالة حدثيّة فحسب، بل يُحمَّل بأبعاد تعبيرية تُخرجه من إطار الزّمن إلى فضاء الدّلالة الرّمزية" (تمّام حسّان، 1994، ص 143).

تحليل القصيدة من هذا المنظور يُظهر تنوعاً دلالياً ووظيفياً يعكس أغراض الشّاعر ومواقفه التّواصلية تّجاه الخليفة النّاصر وأحداث المناسبة. فالأفعال التّعبيرية بمجملها تعمل على تأطير الخطاب شعوريًا، وتفعيله رمزيًا بما يتناسب مع الوضع السّياسي والدّيني للممدوح. وهنا يتجلّى ما أشار إليه جاكوبسون بأن "في الشّعر، تتحوّل الأفعال إلى عناصر إيقاعيّة ودلاليّة، تفوق وظيفتها

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

النّحوية"(ر. جاكبسون، 1963، ص 89) ونلاحظ أنه تُهيمن على القصيدة أفعال المدح التي تُجسّد انفعال الإعجاب والانبهار، كما في قوله:

فَنَحنُ بِالنّاصِرِ الإِمامِ إذا *** عُدَّت عَوادي الأَيّامِ نَنتَصِرُ

إذ يُبرز الشاعر هنا الانفعال الجمعي بالاطمئنان إلى قوّة الخليفة؛ فالأفعال "ننتصر" و"عدّت" تنقل شعورًا وجدانيًا عميقًا بالاعتماد على الممدوح في مواجهة الشدائد. هذه التراكيب لا تُحيل على حدث واقعي فحسب، بل تُفصح عن موقف شعوري داخلي يتمثل في الثقة والتعويل على الخليفة، بما يرسّخ صورته في الوعي الجمعي كضامنٍ للنصر والحماية. وهو ما يتوافق مع مفهوم الانزياح عند الباحث الجزائري عبد الملك مرتاض، الذي يرى أن "انزياح الأفعال عن دلالاتها المألوفة هو ما يجعلها أداةً شعريةً بامتياز " (مرتاض، 2002، ص 112). وفي قصيدته الموجّهة إلى الخليفة النّاصر لدين الله، تتجلّى الأفعال التعبيرية ذات الطابع التوجّعي بوضوح، خاصّة في المقطع الذي يصف قيمة البقاء وطيب العيش في ظلّ الممدوح. ومن أبرز هذه الأفعال ما ورد في البيت:

" يا مَن بِهِ يَحسُنُ البَقاءُ وَمَن *** يَطيبُ في مِثلِ عَصرِهِ العُمُرُ"

يوظّف الشّاعر هنا فعلًا تعبيريًا يشي بانفعال القلق والارتباط الوجداني، إذ يجعل قيمة الحياة نفسها مشروطة بوجود الخليفة. فالتعبير عن التوجّس من فناء اللذّة أو فقدان المعنى لا يُصرَّح به مباشرة، بل يُسند إلى مفهوم "البقاء" و"العمر" اللذين يكتسبان جمالهما بفضل الممدوح، فيتحوّل الانفعال الذاتي إلى صورة جماعية يشاركها المتلقّي. يُعدّ هذا النّمط ممّا يسمّيه التداوليّون بالفعل التعبيري غير المباشر، حيث لا يُفصح المتكلّم عن انفعاله صراحة، بل يُمرّره عبر بناء لغوي يحمّل القيم الوجودية شحنة وجدانية. وقد أشار جون سيرل إلى هذه الظاهرة بقوله: "في الفعل التّعبيري غير المباشر، لا يُصرّح المتحدّث بالانفعال مباشرة، بل ينقله عبر استراتيجيات لغويّة تخييليّة أو إسناديّة تُحوّل المعنى الحرفي إلى دلالة انفعاليّة" (Searle, 1979, p. 36)

٤. الأفعال الالتزامية والإعلانية

تتجلّى في قصائد ابن التّعاويذي، الموجّهة إلى الخليفة النّاصر لدين الله، مظاهر متعدّدة لأفعال كلامية تداولية، من أبرزها الأفعال الالتزامية والإعلانية. وتُصنّف هذه الأفعال ضمن المنظومة التّداوليّة التي تعكس علاقة الشّاعر بمخاطَبه، ليس فقط بوصفه ممدوحًا، بل بوصفه مركزًا للسّلطة الرّمزية والسّياسيّة والدينيّة. تُعبّر الأفعال الالتزامية في هذه النّصوص عن ارتباط وجداني وسلوكي من قِبل الشّاعر تجاه الممدوح، ويظهر ذلك من خلال ألفاظ وتعابير تتضمّن الاعتراف بالطّاعة والولاء، مثل قوله

"وحبّكم مذهبي وطاعتكم *** عندي كفّارةٌ لما أزرُ"

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

حيث يتحوّل المدح إلى فعل تعبّدي يضفي على الطّاعة بُعدًا دينيًّا، ما يجعله أقرب إلى القسم والبيعة منه إلى المجاملة. كما يندرج قوله:

"أنت الإمام المهديّ ليس لنا *** إمامُ حقّ سواك يُنتظرُ"

في إطار الإقرار بشرعية الخلافة وإعلان التّبعية المطلقة، ما يجعل من الخطاب التزامًا صريحًا بالدّفاع عن النّظام القائم. أما فيما يخص الأفعال الإعلانية، فهي تندرج ضمن ما يسميه سيرل "أفعال القول المؤسِّسة للواقع" (Searle, 1979, p. 12)، إذ يُعلن الشّاعر عبرها عن فضائل الممدوح بوصفها حقائق قائمة، لا ادعاءات شعرية. فحين يقول

"سُستَ الرعايا بسيرةٍ لم يسِر *** في الناس إلا بمثلها عمرُ"

لا يكتفي الشاعر بوصف عدالة الخليفة، بل يُقحم المتلقي في مقارنة معيارية بين سيرة الخليفة النّاصر وسيرة عمر بن الخطاب، بما تحمله من رمزية دينية وتاريخية، لتقديم دعوة ضمنية للاعتراف بشرعية الحكم القائم. وفق التداوليين، يندرج هذا ضمن الفعل الإعلاني الإنشائي، الذي لا يبلغ معلومة فحسب، بل ينشئ واقعًا إدراكيًا جديدًا في ذهن المتلقي، ويؤكد الشرعية الحالية بمرجعية دينية وتاريخية، ويحفّز القبول والولاء عبر استدعاء السيرة المثالية (Searle, 1979, p. 12) كذلك في قوله:

"فَنَحنُ بِالناصِرِ الإمامِ إذا *** عُدَّت عَوادي الأَيّامِ نَنتَصِرُ"

تتجلّى البنية الإعلانية للفعل الكلامي في صيغتها الجماعية، إذ يُنجز الشاعر فعلًا يتجاوز الوصف الشعري ليقيم صلة تأسيسية بين الخليفة الناصر ومصير الأمة. الإعلان عن الانتصار ليس مجرد إخبار، بل فعل إنشائي يحوّل الخطاب الشعري إلى ضمان رمزي للغلبة، رابطًا وجود الخليفة بسلامة الجماعة(Austin, 1962, p. 109) كما تُحوّل صيغة "نحن" الخطاب من الفردي إلى الجمعي، مؤكدة البعد الالتزامي الذي يعبّر عن ولاء جماعي صريح، ويكرّس، وفق بورديو، الهيمنة الرمزية القائمة على القبول الطوعي (Bourdieu, 1991). بذلك يتجاوز القول الشعري وظيفة التزيين ليصبح أداة تداولية لتثبيت النظام السياسي والديني.

الوظائف التداولية للأفعال الكلامية في بناء الخطاب

١. دور الأفعال الكلامية في التعبير عن موقف الشاعر

يُعدّ الشّعر ممارسة خطابيّة تُجسّد موقفاً وتؤدّي دوراً في تثبيت العلاقات السّلطويّة، فالأفعال الكلاميّة في رائيّة سبط ابن التعاويذي (سواء: تمثيل، توجيه، تعبير أو إعلان) تُعبّر عن اصطفافه السياسي وولائه الرمزي. فالقول الإنجازي ليس مجرد تقرير، بل هو فعل يُنجز شيئًا أثناء التلفّظ به (Austin, 1962, p. 6)، حيث تغيّر الأفعال الإعلانية العالم بتقديمها بوصفه قد تغيّر

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

(Searle, 1969, p. 18). وهكذا، تسهم الأفعال في بناء الواقع وتمثيله، مما يمنح الشاعر سلطة رمزية (Bourdieu, 1991, p. 166).

أ. الأفعال التوجيهية بوصفها إعلانًا للسّلطة

يقول ابن التعاويذي: فاحكُم على الدّهرِ قادِرًا، فبِما *** تشاءُ يجري القضاءُ والقدَرُ

في هذا البيت، يُستثمر فعل "احكم" ليس كأمر مباشر، بل لإنشاء خطاب سلطوي رمزي يرفع مشروعية الخليفة إلى فضاء القدرة الكونية. فالشاعر، في مقام التمجيد، يُنجز قولًا ذا وظيفة تداولية مركّبة تجعل من الخليفة مركزًا تشريعياً ترتبط أفعاله بـ"القضاء والقدر"، مما يرسّم سلطته كامتداد للقضاء الإلهي. هذا التوسيع للفعل التوجيهي يحوّله إلى أداة بلاغية لإنتاج خطاب الهيمنة الرمزية وتفويض مطلق، مؤكداً على قدرة اللغة على إنشاء الواقع لا مجرد وصفه، كما تقرر نظرية الأفعال الكلامية. يُعزّز التمفصل الدلالي بين "الدّهر" و"القدر" الوظيفة التداولية، حيث يُعاد بناء الخارطة الرمزية للسلطة والزمن، بحيث يكون المتكلّم تابعاً والخليفة منشئاً. وتكمن قوّة الخطاب في المسرحة التداولية للفعل، حيث يتحوّل الإنشاء اللفظي إلى أداء رمزي يندمج فيه القول مع السلطة. ومن ثم، يغدو الفعل التوجيهي نافذة على الهيمنة، ويتحوّل الشعر إلى طقس لغوي يرسّخ الخضوع من خلال التقديس.

ب. الأفعال الإعلانية كمفاتيح للواقع السّياسي

يقول ابن التعاويذي: أمرتَ فينا بالعَدلِ فانبَجَسَتْ *** تصوبُ سُحبُ الحيا وتنهَمِرُ

نلاحظ هنا أنه لا يُمارس وظيفة وصفية لما جرى، بل يُعيد إنتاج "العدل" بوصفه فعلًا سلطويًا منتجًا للواقع. فالفعل "أمرتَ" يُقدّم بصفته إنجازًا إنشائيًا يُحرّك الطّبيعة ذاتها، فيرتبط "أمر الخليفة" بانبجاس المطر، لا على سبيل المجاز، بل على نحو ما يُعرف في نظرية جون سيرل بالفعل الإعلاني (Declarative Act) الذي يغير العالم. هذا التحوّل في المعنى لا يُفهم من منطق الواقع التّجريبي، بل من منظور تداولي يُعيد تشكيل العلاقة بين القول والسّلطة ضمن إدراك جماعي تُنسب فيه النّعمة لا بوصفها نتيجة مادية مباشرة، بل مكافأة رمزيّة لحسن التّدبير. وهنا يظهر ما أشار إليه **ليتش** في حديثه عن **الإتيكيت السياسي**، حيث يرى أن الخطاب يوظّف نتائج إيجابية - كالمطر مثلًا - باعتبارها "مكافآت ضمنيّة تُعرض كثمار للحكم الفاضل دون ادّعاء سببيّة صريحة" (Leech, 1983, p. 134). وبهذا، يتحوّل المطر في القصيدة من ظاهرة طبيعية إلى أداة إقناع تداولي غير مباشر، تُقدّم كدليل إيحائيٍ على عدالة الحاكم، فتقنع المتلقّي دون جدل منطقي، بل عبر تفعيل رمزيّة السّلطة في الوجدان الجماعي. حيث أن الرّبط بين "الأمر بالعدل" و"هطول المطر" هو نموذج لما يسمّيه **بول شيلتون** بـ"الإقناع التّداولي غير التصريحي" (*Non-explicit argumentative pragmatics*)، إذ يُوجَّه المتلقّي إلى نتيجة سيّاسيّة

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

(ألا وهي شرعيّة الحكم) عبر قرينة طبيعيّة موحية، دون لجوء إلى خطاب الحجاج المباشر. وفعاليّة هذا النّمط من الخطاب، كما يوضّح شيلتون، لا تقوم على البرهنة المنطقيّة، بل على تفعيل الخيال الجماعي واستثارة أنماط إدراك راسخة في الوعي الجماعي، تجعل الاستنتاج السيّاسي يبدو بديهيًّا، مألوفًا، وغير قابلٍ للتّشكيك (Chilton, 2004, p. 87)

أما من حيث علاقة القول بالسّياق، فإن ما يفعله الشّاعر يشبه ما حدّده **بيير بورديو** في نظريّته حول السّلطة الرّمزية، والتي في هذا المقام لا تحكم بقوّة القبضة؛ بل بالكلمة التي تُعيد بناء الواقع في ذهن الجماعة، كما يفعل القول الشّعري هنا حين يُلبس الفعل السيّاسي لباسًا طبيعيًّا، يختزل الخير العام في بركة الحكم. كما يمكن القول إن الفعل "أمرتَ" لا يحمل في هذا السّياق مجرّد تقرير لحدث، بل يحقّق ما وصفه **أوستن** بالفعل التّأسيسي (*performative*) وبذلك، يتحوّل الخطاب الشّعري من تمثيل للموقف السّياسي إلى فعل تداوليّ منتج للشّرعية، حيث تُبنى مشروعيّة الخليفة عبر أثرٍ رمزيٍّ يجمع بين العدالة الإداريّة والرّضى الإلهي. وهذا الدمج بين الحقل السّياسي والطّبيعي لا يُقنع العقل فحسب؛ بل يُخضع الوجدان، ومن ثم لا يتعلّق الأمر بفعل لغوي عابر، بل بمنظومة تداولية مكتملة، يتحوّل فيها الشّعر إلى وثيقة رمزيّة لإعادة تشكيل العلاقة بين الحاكم والمجتمع، عبر سلطة الكلمة وبلاغة التّأثير، في لحظة من أعلى لحظات التّواطؤ التّداولي بين الشّعر والسّياسة.

ج. التّعبير عن الموقف من خلال أفعال تمثيليّة وانفعاليّة

يمشونَ خطرًا إلى الحروبِ مسا *** عيرَ وَغىً لا يروعُهم خَطَرُ

لا يقدّم الشاعر هنا صورةً حياديّة للمعركة؛ بل ينجز فعلين كلاميين معًا: فعلًا تمثيليًا يقرّ فيه ببطولة الجنود، وفعلًا تعبيريًا يكشف انفعاله تجاه شجاعتهم. فالفعل "يمشون" المقترن بـ "خطرًا" لا يكتفي بوظيفته التصويرية، بل يتحوّل إلى رمز للثبات أمام الموت، في سياق يعزّز صورة الجيش بوصفه ذراعًا شرعية للخلافة. وهنا يتجلّى ما يسمّيه التداوليون الوظيفة الإنشائية التمثيلية، حيث لا يصف القول الواقع فحسب، بل يعيد تشكيله في الذهن الجمعي. ومع أنّ التمثيل حاضر، فإنّه ممتزجٌ بفعل تعبيري غير مباشر؛ فالشاعر لا يصرّح بإعجابه، بل يُضمّن مشهدَ السير وسط الخطر دلالة وجدانية تُحيل إلى الإكبار بروح الفداء. فقولُه إنّهم "لا يروعهم خطر" لا يبرز الشجاعة فقط، بل يفعّل قيمة انفعالية تعزّز قوة الفعل التعبيري. ومن هذا المنظور، يؤدّي البيت ما يشير إليه عبد الله إبراهيم بـ "العقد الرمزي" الذي يتحوّل فيه المديح إلى صيغة تُثبّت الولاء السياسي تحت غطاء جمالي **(إبراهيم، ٢٠٠٠، ص ٧٣).**

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وعليه، لا يكون البيت مجرّد تسجيل لبطولة الغير، بل ممارسة رمزيّة لصناعة معنى سياسي؛ يكوّن فيها الفعل التمثيلي صورة "الجيش الشرعي"، بينما يعيد الفعل التعبيري إنتاج "الذات الموالية"، فيلتقي البُعد البلاغي بالشرعية التداولية في خدمة الخطاب السلطوي.

د. الأفعال التعبيرية بوصفها أداة للانتماء السياسي

ورحمةُ اللهِ من دلائلِها *** في الأرضِ عدلُ السّلطانِ والمطرُ

ما نلمسه في هذا الموضع أن سبط ابن التّعاويذي لا يكتفي بالتعبير عن حالة وجدانية وحسب، بل يُنجز فعلًا تعبيريًا يُحمّله دلالة سياسية مستبطنة. فالتعبير عن "رحمة الله" لا يُحيل إلى شعور ديني صرف، بل يُستثمر بوصفه أداة لإنجاز موقف ضمني من السّلطة، حيث تُقدَّم التجربة الإيمانية بوصفها شاهدًا على عدل الخليفة. وبالتّالي هنا لا يُصاغ الانتماء بأسلوب صريح، بل يُمرَّر تداوليًّا عبر آليّة وجدانيّة مُقنّعة، تجعل من "العدل السلطاني" مرادفًا للرحمة الإلهية، ومن "نزول المطر" برهانًا حيًّا على الفضل السياسي. وبهذا يتحوّل القول إلى صيغة رمزية من الولاء، لا تقوم على الإلزام السّياسي المباشر، بل على ما يُعرف في التّداولية بـ"الالتزام التّعبيري" المرتكز على شرط الإخلاص.

وتتعمّق هذه الوظيفة حين يُحمَّل العدل نفسه طابعًا مقدّسًا، فتُصبح التجربة الدنيوية (ألا وهي الخصب والمطر) مرتبطة ضمنًا بشرعية دينية خفيّة. حيث نلمس هنا ما نبّه إليه نصر حامد أبو زيد حين رأى أن الخطاب المدحي في العصر العباسي قد استخدم الرموز الدينية لتأطير السلطة بلغة مُقدّسة تُغلّف السياسي بثوب إلهي (أبو زيد، ٢٠٠٠، ص ٨٩). وبذلك يتبيّن من خلال تحليل هذه الأبيات أنّ موقف الشّاعر لا يُفهم من خلال مضمون القصيدة فحسب، بل من خلال البنية التداوليّة للأفعال الكلاميّة التي تتخلّلها، وتُنتج بالتّالي نظامًا رمزيًّا يُكرّس الولاء، ويدعم شرعيّة الحاكم، ويوجّه المتلقّي نحو الانخراط في خطاب الهيبة العباسيّة. ما يجعل القول الشّعري في رائيته أداة تداوليّة لتشكيل موقف جماعي، يتموضع فيه الشّاعر كفاعل سياسي وثقافي، لا بوصفه راويًا، بل ناطقًا رمزيًا باسم السّلطة ورؤيتها للعالم.

٢. الفعل الكلامي أداةً لإنتاج المعنى وتوجيه المتلقّي

ما نتّفق عليه هو أن اللّغة الشّعرية ليست أداةً للتّعبير العاطفي أو الزّخرفة الأسلوبيّة فحسب، بل هي منظومة إنجازيّة تُنتج واقعًا إدراكيًّا وتُعيد تشكيل تمثّلات السّلطة والمعنى. ففي رائيّة ابن التّعاويذي، لا يكتفي الشّاعر بالوصف أو المدح، بل يُسهم من خلال الأفعال الكلاميّة في توجيه الوعي الجماعي، وصياغة صورة ذهنيّة للخليفة تُحاكي الخلود والشّرعية والسّمو.

أ. الأفعال الإعلانيّة: حين يتحوّل القول إلى سلطة

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وتُعَدّ من أبرز أدوات إنتاج المعنى في الخطاب الشّعري تلك الأفعال التي لا تكتفي بوصف الواقع، بل تصنعه وتُعيد ترتيبه. ففي قول ابن سبط:

" أَحالَ طَبعَ الدَهرَ الخَؤونِ فَما *** تُضمِرُ سوءاً لِأَهلِهِ الغِيَرُ"

لا يكتفي الشاعر بإخبارنا عن تحوّل واقعيّ طرأ على الزمن، بل يُمارس ما يسمّيه جون سيرل فعلًا كلاميًا إعلانيًا (Declarative)، إذ يعلن عبر فعل "أحالَ" عن تغيير جوهري في طبيعة الدهر نفسه. فالخليفة – بحسب هذا التصوير – لم يكن مجرّد حاكم عادل داخل سياق تاريخي قائم، بل هو من غيّر «طبع الدهر» وألغى خيانته وغدره، ليُنشئ داخل القول واقعًا رمزيًا جديدًا تتحوّل فيه الطبيعة المتأصّلة للزمن إلى طبيعة عادلة وآمنة. وهنا يتجلّى بوضوح دور الفعل الإعلاني في إحداث تغيير في الحالة الاجتماعية أو الواقعية من خلال القول نفسه (Searle, 1969, p. 54). بهذا التّمثيل الرّمزي، ينتقل الخطاب من مجرد وصف لمحاسن الخليفة إلى ترسيخ صورة كونية تتجاوز البشر، حيث تُصبح العدالة قوة تغيّر قوانين الزمن ذاته، مما يفضي إلى ما يسمّيه **بيير بورديو** بـ"العنف الرّمزي"، حين يُفرض المعنى السّلطوي لا عبر القوّة الصّريحة، بل عبر قناعة جماعيّة تُشرعِن النّظام القائم بوصفه قدرًا لا نقاش فيه (Bourdieu, 1991, p. 138).

في هذا السّياق، لا يظهر الشّاعر مجرّد ناقلٍ للمديح، بل فاعلًا في بنية الهيمنة، يسهم في بناء شرعيّة السّلطة عبر أدوات رمزيّة تداوليّة. وهو ما نبّه إليه عبد الله الغذّامي حين أكّد أن "المديح في السّياق السّياسي العربي لا يُثني فحسب، بل يُؤسّس للشّرعية، ويُعطي السّلطة غطاءها الرّمزي" (الغذّامي، ٢٠٠٠، ص. ٦٢). فالقول هنا لا يصف ما هو كائن؛ بل يُنتج ما يجب أن يُصدّق على أنّه كائن، وفق ما يسمّيه التداوليون "الإنشاء السياسي في اللغة"، أي أن يتحوّل القول إلى أداة لبناء شرعيّة متخيَّلة تُقدَّم كما لو كانت حقيقة تاريخيّة غير قابلة للنّقض.

٣. الدّعاء كأمر مقنّع: التوجيه التداولي بأسلوب رمزي

يقول سبط ابن التّعاويذي: " أَيَّدَهُ اللَهُ في خِلافَتِهِ *** حَتّى أُمِرَّت لِمُلكِهِ المِرَرُ"

يظهر البيت في بنيته السطحية وكأنه مجرّد دعاء بالتأييد الإلهي، حيث يسأل الشاعر الله أن يمدّ الخليفة بالنصر والسداد في خلافته. غير أنّ القراءة التداولية تكشف عن بعد آخر: فالدعاء هنا ليس بريئًا أو محايدًا، بل هو فعل توجيهي غير مباشر يشرعن الخلافة ويُؤطّرها في صورة قدرية مستمدة من الإرادة الإلهية.

إنّ قول الشاعر "أيّده الله" يضع سلطة الخليفة في دائرة الحماية السماوية، بحيث يغدو استمرار الحكم ونجاحه أمرًا مفروغًا منه، مسنودًا إلى الشرعية الدينية. وهذا الأسلوب يمثّل

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

استراتيجية رمزية للتوجيه؛ إذ لا يُطلب من الرعية الخضوع بشكل مباشر، بل يُزرع في وعيهم أن الطاعة امتداد طبيعي لما أيّده الله به.

كما أن الشطر الثاني "حتى أُمِرَّت لِمُلكِهِ المِرَرُ" يقدّم صورة تداولية تُحوّل الحكم إلى قدر محتوم: فالزمن نفسه – بما يحمله من صعوبات (المِرَر) – صار مأمورًا بالخضوع لملكه. هنا تتجلّى قوّة الخطاب التداولي في دمج الدعاء بالقدر، بحيث لا يُقال "أطع الخليفة" أو "اخضع لسلطانه"، بل يُقدَّم الأمر كحقيقة كونية، لا مجال للاعتراض عليها.

وبذلك يلتقي البيت مع ما سمّاه جيفري ليتش بـ"الإتيكيت السياسي" (Leech, 1983, pp. 132–135)، حيث يُقدَّم التوجيه السياسي في صورة دعاء أو تمني، فيغدو امتثال المتلقي تلقائيًا لا مفروضًا. وهو ما أكّده محمد مشبال حين بيّن أنّ التلميح الشعري في المدائح السلطانية يراهن على الإيحاء أكثر من التصريح، إذ يتحوّل الدعاء إلى أداة بلاغية لتثبيت مشروعية السلطة (مشبال، ٢٠١٦، ص. ١١٨).

التوجيه الجمالي: من المدح إلى الإقناع الإدراكي

في المديح السياسي، لا تُبنى السلطة بالكلمات المباشرة فحسب؛ بل تُنتَج عبر خطاطات إدراكيّة وصور ذهنية تُوجّه المتلقّي نحو قبول السّلطة بوصفها طبيعة رمزيّة. وفي هذا السياق نتناول قول التّعاويذي:

"يا صاحِبَ العَصرِ وَالزَمانِ وَمَن *** في يَدِهِ النَفعُ بَعدُ وَالضَرَرُ"

هذا البيت لا يكتفي بوصف الخليفة من موقع الزعامة الدنيوية، بل يرفعه إلى مقام رمزي تتماهى فيه صورة الحاكم مع سلطة شبه قدَريّة. فإسناد النفع والضرر إلى يده لا يُقدَّم هنا كصفة بشرية مرتبطة بالحكم والسياسة، بل يُعاد إنتاجها تداوليًّا بوصفها قدرًا محتومًا، يفرض على المتلقّي الإذعان لقبول السلطة باعتبارها الموزّع الوحيد للخير والشر.

إن هذا الفعل الكلامي يتجاوز وظيفة الثناء الظاهر ليُمارس فعلًا إقناعيًّا خفيًّا، حيث يُعاد تشكيل صورة الخليفة كمرجعية نهائية لا تُناقَش، فيغدو القول الشعري بمثابة خطاب سلطوي يفرض هيمنة إدراكية: فكل ما يصدر عن الحاكم يتجلّى كضرورة طبيعية لا تحتمل الاعتراض.

وبهذا يتحقق ما أشار إليه فان دايك بـ"السلطة الطبيعية" أو "إقناع التلقين" (van Dijk, 2008, p. 97)، إذ تُعرَض القرارات والمواقف السياسية في صيغة مسلّمات لا تحتمل النقد، فيُطبع في وعي المتلقّي أن يد الحاكم هي المصدر الأوحد للنفع والضرر، أي للحياة كلّها. وهنا لا يكون الشعر مجرّد مدح، بل أداة لتأطير الإدراك الجماعي وإعادة إنتاج السلطة في صورة تتجاوز الواقع إلى مستوى التقديس الرمزي.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

ب. الرمز الدّيني: توجيه المتلقّي باسم القداسة

في مسار إنتاج السّلطة الرّمزية داخل الخطاب المدحي، يلتجئ الشّاعر إلى استراتيجية دلاليّة أكثر عمقًا تقوم على إقحام الرّمز الدّيني في بنية القول الشّعري، وتحديدًا حين يربط بين الخليفة والدوائر المقدّسة فيحوّلها إلى عملية خطابية تجعل من انتقاد الحاكم أو منازعته في الحكم نوعًا من الكفر أو العصيان الديني. على سبيل المثال يقول:

"هُمُ أُمَناءُ اللهِ الكِرامُ عَلى الخَلقِ *** وَهُم آلُهُ إِذا اِفتَخَروا"

حيث لا ينتمي هذا القول إلى دائرة الوصف المجازي أو المدح الزّخرفي، ولإنّما يتعدّاها ليُؤسّس لفعل كلامي إعلاني يحمل وظيفة إعادة تعريف الهويّة السيّاسيّة للخليفة ومحيطه. فهو حين يُنعت الخليفة و"آله" بأنّهم "أمناء الله"، لا يُريد بذلك فقط الإشادة الأخلاقيّة؛ بل إعادة صياغة العلاقة بين الحاكم والمتلقّي ضمن أفق لاهوتي يتجاوز الزّمن السيّاسي. وهنا، يُمارس الخطاب فعلًا تداوليًّا مُركّبًا، ينطوي على تحويل الفاعل السيّاسي إلى وكيلٍ عن الإرادة الإلهيّة، لا في إدارة شؤون النّاس فحسب؛ بل في تمثيلهم أمام "السّماء". وهذا ما يجعل العبارة تؤدّي وظيفة إنجازية مزدوجة: فهي من جهة، تبرير الحكم القائم وشرعنته. ومن جهة ثانية، نزع الطّابع الاختياري عن الولاء السيّاسي وتحويله إلى واجب عقدي.

هذه البنية التّداوليّة تُحيلنا إلى ما صاغه **بيير بورديو** في تحليله للعنف الرّمزي، حيث يرى أن الخطاب السيّاسي حين يُغلّف بالمقدّس، يتحوّل إلى أداة تلقين للسّلطة باعتبارها قدرًا حتميّا لا يناقش (Bourdieu, 1991, p. 138). فالشاعر لا يقول فقط إن الخليفة صالحٌ، بل يقول ضمنًا: هو المختار من الله، فلا مجال لمقارنته أو التّنافس معه. ومن هذا المنطلق، تتحوّل عبارة "آل الله" من مجاز شعري إلى ديناميكية تداوليّة تتبنّى وظيفة الإقصاء الرّمزي: فكل من ليس من "آله" يُقصى من دائرة الشّرعيّة. وبذلك لا يصبح القول مجرّد تعبير عن الولاء أو الافتخار، بل يُنتج نسقًا معرفيًّا يُوَجِّه المتلقّي نحو قبول السّلطة لا بوصفها فعلًا سياسيًّا قابلًا للتّفاوض، بل باعتبارها تجلّيًا لقداسة لا تُمسّ. وهو ما يجعل الفعل التّمثيلي هنا ينزاح إلى وظيفة إعلانية تُضفي صبغة "ما ورائيّة" على العلاقة بين الحاكم والرعيّة.

وقد أشار ناصر الحزيمي إلى هذه الاستراتيجية بدقّة، معتبرًا أن إضفاء صفة دينيّة على الحاكم، كما في صفة "المهدي" أو "آل الله"، كان وسيلة لإنتاج خطاب سلطوي مُغلّف بالرّمز الدّيني، يهدف إلى تعزيز الشّرعية وإخراجها من مجال النّقد والمساءلة (الحزيمي، 2015، ص. 50). وهكذا تنجح البنية التّداولية في تحويل النّص الشّعري من مجرد مدح إلى فعل إنجازي مؤسّس لنظام رمزي من الولاء والإذعان، تُمارَس من خلاله السلطة لا بالقول المباشر، بل عبر التّوجيه الثّقافي والتّمثيل الرّمزي القائم على الإيمان.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وبذلك يبرز كيف تتحوّل اللّغة في شعر ابن التّعاويذي من زخرف تعبيري إلى ممارسة رمزيّة ترسم ملامح السّلطة في ذهن المتلقّي. فالأفعال الإعلانيّة، التوجيهية، التعبيرية، والرّمزية الدّينية لا تعمل منفصلة، بل تتآزر ضمن نسيج تداولي يُنتج خطابًا سيّاسيًا مغلّفًا بالجمال، لكنه نافذ في تشكيل الإدراك الجماعي. ولقد أثبتت بنية المديح في هذه النّصوص أنّها ليست مجرّد امتداد لتقليد أدبي، بل فعل إنجازي يُعيد تعريف العلاقة بين الحاكم والمخاطَب وكذا بين القول والسّلطة ومن جهة أخرى بين المعنى والواقع. وبهذا، لا يكون الشعر مجرد تعبير عن الانتماء فقط؛ وإنّما أداة لإعادة ترتيب المجال الرّمزي الذي تُمارَس فيه الهيمنة وتُؤسَّس فيه الشّرعية.

الخـاتمــة

ليس ختام هذا البحث إلا محطة يُطلّ منها القارئ على حصاد رحلةٍ طويلة بين أنساق اللغة وأعماق الخطاب. فقد حاولنا أن نصغي إلى رائية سبط ابن التعاويذي لا باعتبارها نصًا شعريًا يتغنّى بالممدوح فحسب، بل بوصفها خطابًا تداوليًا مكتمل الأركان، تتحرك فيه الأفعال الكلامية لتشيّد سلطة، وتنتج شرعية، وتوجّه المتلقي، وقد خلصت الدّراسة إلى النتائج التّاليةأظهر التحليل أنّ النسيج الإنجازي في الرائية يتأسّس على هيمنة نوعين رئيسين من الأفعال: التوجيهية التي مثّلت أداة مباشرة للتأثير في المخاطَب واستدعاء استجابته، والتمثيلية التي اضطلعت بمهمّة الإخبار والتقرير وترسيخ صورة الممدوح. هذا التمركز حول فعلَي التوجيه والإخبار يعكس وعي الشاعر بأن الخطاب لا يُنجز دوره إلا بقدر ما يُوجّه ويُقنع. لم يقتصر النص على ثنائية التوجيه/التمثيل، بل ضمّن حضورًا واضحًا للأفعال التعبيرية التي حمّلت المديح شحنة وجدانية كشفت عن انخراط الشاعر في موضوعه، إضافةً إلى الأفعال الالتزامية والإعلانية التي أسّست لشرعية الممدوح السياسية والدينية. وهكذا بدا المديح ممارسة تداولية ذات أثر إنجازي، تتجاوز الطابع التزييني إلى بناء شرعية رمزية. برهنت النتائج أنّ الأفعال الكلامية نهضت بوظائف مركّبة، فهي من جهةٍ تعبّر عن موقف الشاعر وتُظهر انحيازه السياسي، ومن جهة ثانية تنتج المعنى وتوجّه المتلقي نحو اعتقاد بعينه، ومن جهة ثالثة ترسّخ صورة الخليفة باعتباره نصيرًا وعدلًا. بذلك تتجلّى الوظيفة التداولية المركزية للرائية في الإقناع وإحكام صناعة الهيبة السلطانية. اتّضح أنّ النص لا يقدّم مديحًا تقليديًا، بل يشتغل كخطاب سلطوي ذي وظيفة مزدوجة: تزيينية وإجرائية. فالأفعال الكلامية فيه ليست محض زخرف بل أدوات لإعادة إنتاج الشرعية السياسية والدينية للممدوح، وإقناع الجمهور بجدارة سلطته. بهذا المعنى، تغدو الرائية ممارسة رمزية تُعيد تشكيل العلاقة بين الشاعر، والخليفة، والمتلقي في إطار منظومة الهيمنة الخطابية.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

المصادروالمراجع

Abdullah Ibrahim. (2000). *Symbolic Authority: A Study in Arab Political Discourse. Arab Cultural Center*, Beirut.

Abu Zayd, Nasr Hamid. (2000*). Cultural Criticism: A Reading of Arab Cultural Patterns.* Dar al-Tanweer, Beirut .

Al-Ghadhami, Abdullah. (1993). *Sin and Atonement: From Structuralism to Deconstruction*. Arab Cultural Center, Casablanca .

Al-Ghadhami, Abdullah. (2000). *Authority and Discourse in Umayyad Poetry*. Dar Al-Tanweer, Beirut, Lebanon

Al-Hazimi, N. (2015). *The Use of Religious Symbolism in Abbasid Panegyric Poetry*. Arab Heritage Journal, 12(2), 45–67. Damascus, Syria.

Al-Nahar, Karim Shahada. (2009). *An Introduction to Pragmatic Linguistics*. Amman: Dar Al-Fikr .

Al-Sarraf, Ali Mahmoud Hajji. (2010). *Verbs of Action in Contemporary Arabic: A Semantic Study and Contextual Lexicon*. Cairo: Maktabat al-Adab .

Alston, W. P. (2000). *Illocutionary acts and sentence meaning*. Ithaca, NY: Cornell University Press.

Austin, J. L. (1962). *How to do things with words*. Oxford: Clarendon Press.

Bourdieu, P. (1991). *Language and symbolic power* (J. B. Thompson, Ed.; G. Raymond & M. Adamson, Trans.). Cambridge, MA: Harvard University Press.

Brown, P., & Levinson, S. C. (1987). *Politeness: Some universals in language usage* (p. 62). Cambridge University Press.

Hamdawi, Jamil. (2019). *Pragmatics: Between Theory and Application*. Tetouan, Morocco: Dar al-Reef for Electronic Printing and Publishing .

hasaan, tamama. (1994). *allughat alearabiat maenaha wamabnaha*. alqahirati: ealam alkutub.

Jakobson, R. (1963). *Essais de linguistique générale* (Vol. 1). Paris: Éditions de Minuit.

Jawad, R. T. (2019). Speech act of invocation in Iraqi Arabic. *Journal of Tikrit University for Humanities*, *26*(4), 589–610.

Leech, G. N. (1983). *Principles of pragmatics*. Longman. London, England . https://books.google.com/books?id=J5qPDAAAQBAJ&pg=PA134

Levinson, S. C. (1983). *Pragmatics* (p. 243). Cambridge: Cambridge University Press.

Mashbal, Muhammad. (2016). *Speech Acts in Arabic Poetry: Between Pragmatics and Rhetoric.* Alamat Journal, 45(3), 112–130. Casablanca, Morocco.

Morris, C. (1938). *Foundations of the theory of signs*. University of Chicago Press.

Murtad, Abdul Malik. (1998). *The Theory of Deviation in Arabic Poetry*. Algeria: University Publications Office.

Searle, J. R. (1969). *Speech acts: An essay in the philosophy of language*. Cambridge: Cambridge University Press.

Van Dijk, T. A. (2008). *Discourse and power*. Palgrave Macmillan. London, England.

Copyright © 2026, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)